

العنوان:	تقييم جديد لكتابات الغربيين للسيرة النبوية ، وتحولات جديدة بعد مرحلة الغلو والتعصب
المصدر:	البعث الإسلامي
الناشر:	مؤسسة الصحافة والنشر - مكتب البعث الإسلامي
المؤلف الرئيسي:	الجندى، أحمد أنور
المجلد/العدد:	مج 30, ع 8
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	1986
الشهر:	فبراير - جمادى الأولى
الصفحات:	25 - 37
رقم MD:	143543
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	IslamicInfo
مواضيع:	الاستعمار ، الغلو في الدين ، التعصب ، السيرة النبوية ، الحروب الصليبية ، العالم الإسلامي ، الاستشراق والمستشرقون ، العالم الغربي ، النبوة ، الحرب على الإسلام ، المسيحية ، اليهودية ، التغريب ، الوحي ، معجزات النبي ، القرآن الكريم ، تعدد الزوجات ، دفع المطاعن عن الإسلام
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/143543

الدعوة الاسلامية :

تقييم جديد لكتابات الغربيين للسيرة النبوية ، وتحولات جديدة بعد مرحلة من الغلو والتعصب

السيد الأستاذ أنور الجندى

مرت كتابة سيرة النبي - ﷺ - فى الغرب بمراحل مختلفة ، منها مرحلة الغلو والتعصب ، ثم مرحلة (الرأى المسبق القائم على الهوى) و انتهت اليوم إلى مرحلة يمكن أن يقال إنها تفتح الطريق لرؤية معتدلة ، لكل مرحلة عواملها المرتبطة بها .

أما مرحلة الغلو والتعصب فقد بدأت بعد هزيمة الغرب فى الحروب الصليبية التى شنها على العالم الاسلامى وعادت فلول القوى المنهزمة مبهورة بعدالة الاسلام و سماحته مما هز دوائر الكنيسة خشية سريان هذا الاعجاب فى جموع المسيحيين ، و لذلك فقدر وجه هؤلاء المتصفون بالاعتداء و القتل و تكميم الأفواه ،و بدأت تلك الحملة الواسعة التى قادها التبشير و الاستشراق على الاسلام و نبيه و كتابه القرآن ، فى تعصب عنيف و حقد بالغ و فى هذه المرحلة وجهت إلى الرسول - ﷺ - عديد من الشبهات التى ظلت ترددها القوى المختلفة و سجلتها دوائر المعارف البريطانية والفرنسية و الأمريكية والتى لم يقم أصحابها بتصحيحها أوتخفيف لهجتها بل لقد ذهبت مؤسسة اليونسكو فى موسوعتها التى أصدرتها فى السنوات الأخيرة إلى ترديد هذه الشبهات .

ثم جاءت مرحلة (الرأى المسبق القائم على الهوى) نتيجة توسع الاستعمار فى العالم الاسلامى والسيطرة على مناهج المعاهد والمدارس والجامعات ،وقد وصلت قوى الاستشراق و التبشير فيها إلى تجاوزات كثيرة خطيرة .

وفى هذه المرحلة استخدمت بعض العناصر العربية والاسلامية من التغريبيين إلى مواصلة هذا العمل و تبنى وسائل خطيرة تحت اسم تجديد التراث الاسلامى ودس هذه الشبهات ، حيث خضعت السيرة لمقاييس مضللة كالتفسير المادى للتاريخ و المذاهب المادية القائمة على إنكار الوحى و النبوة و المعجزات على النحو الذى عرفناه فى كتابات بعض العصريين الذين أخرجوا السيرة من منطلقها الحقيق وأدخلوا إليها كثيراً من الأساطير .

و لقد تراوحت الدعاوى و الشبهات فى هاتين المرحلتين بين الكذب و الادعاء و بين التعصب و الحقد ، من ذلك ما ذهب اليه بعض هؤلاء من أن التقاء النبي - ﷺ - بالراهب بحيرا و ورقة بن نوفل وقس بن ساعدة كان له أثر فى تلقى التعاليم الدينية و الادعاء بأن النبي كانت له رحلات كثيرة إلى الشام و اليمن و فلسطن و آسيا الصغرى و فارس : و ما ذهب إليه المستشرقون من إيهام بأن تعدد الزوجات يعطى النبي - ﷺ - صورة مختلفة كانوا هم دائماً طامعين فى محاولة وصف النبي - ﷺ - بها ، و منها ما ذهب إليه البعض من تصور للوحى بأنه مرض نفسى ، أو إلهام داخلى ، ومنها ما ذهب إليه البعض من تصور النبي بصورة المصلح الاجتماعى العارف بحاجات قومه ، و ما ذهب إليه بعضهم من أن العرب كانت ناهضة مستعدة للظهور ، فلما جاء محمد نهض بها فنهضت .

و منها ما ذهب اليه البعض من وصف النبي بالزعامة أوالعبقرية أو البطولة و كلها غير النبوة ، و من ذلك قول بعضهم : إن دعوة محمد كانت استجابة لظروف تاريخية معينة كان يحياها العالم فى القرن السابع ، ومن ذلك دعوى انتشار الاسلام بالسيف و اتهام المسلمين بأن دافعهم إلى الفتح كان البحث عن الطعام .

وما ذهب إليه كتاب الغرب من أن الاسلام مأخوذ من المسيحية واليهودية كذلك ، فقد حاولت كتابات الاستشراق و التغريبيين إضافة من الأساطير روجت

بعد العصر الأول إلى سيرة النبي - ﷺ - مرة أخرى بعد أن نقاها منها رجال السيرة، وقد أريد بهذه الأساطير إفساد العقول والقلوب من سواد الأمة وتشكيك المستنيرين و دفع الريبة إلى نفوسهم فى شأن الاسلام و نبيه .

ثانيـــاً :

إن أبرز ما تكشف عنه كتابات الغرب هو أحد أمرين :

١ــ إما المفهوم المسبق القائم على الخصومة القديمة التى وضعهــا الأوربيون مع لبان أمهاتهم نحو الاسلام و نحو النبي - ﷺ - .

٢ــ أو العجز الواضح عن فهم النبوة الاسلامية بالقياس إلى المسيحية واليهودية، هذا العجز الذى يتجلى فى عدم قدرتهم على التفرقة بين الالوهية و النبوة من ناحية ، و بين النبوة و التبشير العادى (و خاصة الحواريين أو صحابة النبي) .

و من ذاك الخلاف فى الفهم بين الاسلام و المسيحيـــة حول الكتب السماوية و هل هى من كلام الله تبارك و تعالى (كما فى القرآن) أو من كلام الرسل و الحواريين كما فى الانجيل .

كل هذا وضع فاصلا عميقاً دون فهم المستشرقين و كتاب الغرب لنبوة سيدنا محمد - ﷺ - .

ويبدو هذا واضحاً فى نصوص كتابات الحوار التى دارت فى الندوات المختلفة التى عقدت بين علماء المسلمين و علماء المسيحين فى قرطبة و باريس وغيرها حيث يقف علماء المسيحية موقفاً من النبوة المحمدية .

أولا : شبهات حول النبوة .

طرحت المخططات التغريبية من خلال معاجم الفلسفة المادية شبهات متعددة

حول النبوة و الوحى تحاول أن تلق ظلال الشك بالقول بأن النبوة تجربة ذهنية فكرية، وأن النبي قد أدرك ما أدرك من النبوة نتيجة مقدرته على التركيز واستدامته على مستوى تجريدى لا يطيقه غيره .

و لا ريب هذه من الدعاوى الباطلة التى فندها مفكرو الاسلام المعاصرون على أساس واضح صريح ، إن أى انسان مهما بلغ من التركيز لا يستطيع أن يكون نبياً ، لأن النبوة ليست تجربة ، و لما كان أبرز ظواهر النبوة هو الوحى ، و لما كان هذا الوحى يهبط فجأة فى لحظة مجهولة للنبي و كأنه ومضة خاطفة ، لم يسع إليها ولم يتوقعها، كان من الاستحالة القول بأن النبوة مما يمكن أن يحصل عليه أى انسان مهما بلغ من النبوغ أو الذكاء .

و لا ريب أن أبرز صفات الوحى أنه من خارج الذات ، فهو ليس نتيجة فيضان نفس أو كبت لمجموعة من التأملات احتشدت و تفجرت فى نفس النبي على نفسه ، والقائلون بهذا هم من المنكرين للنبوة الخائضين بالباطل فى وصفها، و لا ريب أن النبوة هى من الاصطفاء الربانى العلوى المسبوق ببعض الارهاصات و لكنه لا يعرف ما يسمى بالتدرج المؤدى إلى النضج فى النهاية ، و النبوة تكليف فجائى ينفى الارادة فلا خيار لنبي فى أن يقبل أويرفض ما يأتى به الوحى.

(ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى)

إن محاولة الفكر المادى محاولة باطلة و خاصة فى تجريد النبي - ﷺ - من كل ما هو سماوى غيبي ، و لا شك أنهم مخطئون فى تصورهم أن النبى - ﷺ - (اختنق) فى غار حراء ليفكر فى أحوال قريش ، وكيف يستنقذهم من مظالم السادة ، أو قولهم : إن الاسلام ثورة اجتماعية، فالاسلام ليس ثورة ولكنه دين سماوى اختار الحق تبارك و تعالى ، توقيته و مكانه ورسوله دون تقيد بأى تفسيرات مادية مما يحكم به الماديون على الثورات و الحركات الاجتماعية .

و للنبي - ﷺ - عصمة و قداسة و هو ليس بشراً فحسب ، و لكنه (بشر يوحى إليه) (قل إنما بشر مثلكم يوحى إلى) أى ليس بشراً مثلنا لأنه يوحى إليه و نحن لا يوحى إلينا بشئ .

هذا الفرق الدقيق هو سر النبوة، والنبي معصوم يتلق من ربه التشريع و التكليف و هو لا ينطق عن الهوى .

إن التشكيك فى الوحى والنبوة هى محاولة لتصوير الأنبياء والرسل على أنهم رجال مصلحون استوعبوا فكر أمتهم و استطاعوا صياغة التراث القديم فى صورة جديدة ، و هو تصور زائف .

ثانياً : شبهات حول الوحى :

الوحى هو الطريق الذى يخبر به الله تبارك و تعالى رسولا من رسله بأمر الرسالة التى وكله إليها ، عقائدها و شرائعها و آدابها و ما يريد أن يطلعه عليه من أنباء الغيب ، فالوحى هو الدعامة التى تقوم عليها الرسالة و لا تجد ديناً من الأديان المنزلة يخلو من خصيصة الوحى ،وعن طريق الوحى يصدر التفسير الربانى للظواهر المختلفة و الحلول المختلفة للأحداث و المواقف ، و لقد نزل الله تبارك و تعالى القرآن الكريم على قلب النبي - ﷺ - عن طريق الوحى ، و قد ذكر اللغويون لكلمة الوحى عدة معان : الاشارة ، الكتابة ، الرسالة ، الالهام الخفى ، و كل ما ألقيته إلى غيرك ، و التسخير ، و الرؤيا الصادقة .

فالوحى هو إلقاء المعنى فى النفس فى خفاء :

(و ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب) .

و قد استعمل القرآن كلمة (وحى) و مشتقاتها خمساً و سبعين مرة فى سبعين آية ، منها ما يراد بها عن إلقاء الله (تبارك و تعالى) لأنبيائه ما يريد تعريفهم به و تبليغهم إياه من الأحكام و الأنباء .

و لما كانت النبوة والرسالة ليست من قبيل الملكات النفسية أوالقرائن النوعية أو الصفات الحسية ، بل إن حقيقة النبوة هى فى وحى الله (تبارك و تعالى) إلى النبي ما يوحيه من أنباء الغيب و حقائق الوجود، و من هنا فقد كانت قضية الوحى من القضايا التى اضطربت فيها كتابات المستشرقين و الغربيين لعدة أمور .

أولا : لأن المفاهيم الغربية الفكرية كلها تقوم على الفلسفة المادية والمحسوسات .

ثانياً : لاختلاف مفهوم العلاقة بين الألوهية والنبوة و بين المسيحية و الاسلام.

ومن ذلك قولهم : إن القرآن انطباع فى نفس محمد نشأ عن تأثير البيئة التى عاش فيها ، و إن القرآن فيض من العقل الباطن و ليس وحياً إلهياً ، اعتماداً على القول بعبقرية محمد و ألمعيتـــه و صفاء نفسه ، و لا ريب أن هدف إثارة هذه الشبهة يرمى إلى محاولة قطع الصلة بين المسلمين وبين القرآن ، ذلك لأنه إذا كان القرآن من كلام محمد كان من عمل البشر ، و بذلك فقد معناه الأسمى و تفرق المسلمون و انتهى أمر الاجتماع عليه ، و نحن نعرف أن هناك فارقا واضحاً بين كلام محمد و كلام القرآن فى النسق و النظم ، و قد كان محمد - ﷺ - (أمياً) لا يقرأ و لا يكتب و تلك حجة تدحض قول القائلين بأنه عرف فى الكتب السـابقــة .

و لما كان الوحى هو حجر الرحى فى النبوة و فى الدين كله فقد ركز عليه دعاة التغريب و أثاروا حوله الشبهات و زعموا أنه نوع من إلهـام خفى و زعم آخرون أنه كان اشراقا روحياً و وصفه آخرون بأنه نوع من الصرع .

إن مجادلة النظريات المادية معارضة للوحى والغيب قد حققت أسباب فشلها، فقد تأكد بالبحث العلمى أن العقل وحـــده غير كاف فى فهم كل شئ و أن

العلم قد عجز عن أن يقدم إجابات عن هذه الأشياء و أنه قد وقف عن حدود ظواهر الأشياء (١) .

ثالثاً : شبهة العبقرية :

كذلك من أكبر الخطأ وصف سيدنا محمد - ﷺ - بأنه عبقرى بين عباقرة، لا نبي و رسول بالمعنى الديني المعروف فى الأديان المنزلة .

فالناشئ الذى يقرأ بعد عبقرية محمد عبقرية أبي بكر و عبقرية عمر مثلا لا يمكن أن يسلم من إيحاء خفي إلى نفسه أن محمداً و أبا بكر وعمر من قبيل واحد، عبقرى من عباقرة و إن يكن أكبرهم جميعاً .

كالذى سمى النبي - ﷺ - بطلا من الأبطال فأوهم أنه واحد من صنف ممتاز من الناس فتجدد على العصور ، بدلا من صنف اختتم به - ﷺ - صنف الأنبياء و المرسلين من عند الله ، فالنبي و الرسول يأتيه الملك من عند الله بما يشاء الله من وحى و من كتاب ، و لا كذلك العبقرى و لا البطل .

فالنبوة و الرسالة فوق البطولة و العبقرية بكثير، وكم من الصحابة رضوان الله عليهم من بطل و من عبقرى و كلهم يدين له - ﷺ - بأنه رسول الله إلى الناس كافة فى ذلك العصر و ما بعده و أنه خاتم النبيين .

رابعاً : شبهة المصلح الاجتماعى القادر على معرفة حاجات قومه و وضع حلول لها :

و هذه الشبهة من الشبهات المدسوسة التى يحاول أن تنفى عن الرسول - ﷺ - أبرز صفاته و هى الوحى و النبوة و هى ادعاء باطل .

و من ذلك شبهة الزعامة ، و يجب إدراك الفرق العميق بين (النبوة

(١) عن أبحاث متعددة لفريد وجدى و محمد أحمد الغمراوى و غيرهما .

و الزعامة) ومدى الخطر الذى ينطوى عليه القول بزعامته - ﷺ - أو عبقريته السياسية ممـــا يفرح به السذج من المسلمين، و معنى ذلك كله نفى النبوة و الاقرار بأن الرسول - ﷺ - كان يصدر عن الفكـــر و الروية ، و مقتضيات الحال ، لا عن الوحى ، و كـأن ليس فى الأمر معجزة ما ، فالأمر فيما يزعمون طبيعى و مساير لنواميس التطور و مألوف مما يحدث فى زعامات النهضة الاجتماعيـــة أو الثورة السياسية .

خامساً : شبهة تأويل المعجزات :

ترددت فى كتابات المستشرقين أخطاء كثيرة حول المعجزات ، و تابعهم فى ذاك عدد من الباحثين المسلمين الذين حاولوا إرضاء لهم تأويل المعجزات وذلك فى مرحلة غلبت فيها مفاهيم الفلسفة المادية .

فقد حاولوا بناء الخوارق و المعجزات على الأدلة السمعيـــة لا على الأدلة العقلية التى يدركها الانسان ، و الذين ينكرون المعجزات ينكرونها على ظن أنهـا غير ممكنة و هم يقيسون الامكان و الاستحالة بمقياس الانسان و ينسون قدرة الله - تبارك و تعالى - التى ليس يبعد عنها أى تصرف .

و من ذلك موقفهم من حادث الفيل ، و ما حدث فى الغار ، و الاسراء و المعراج، وشق الصدر ، تجد إنكار ذلك واضحاً فى كتابات وليم ميور و أميل در منجم ، و أيدها فى ذاك الدكتور هيكل و آخرون .

سادساً : شبهات حول القرآن الكريم :

و يردد المستشرقون شبهات كثيرة حول القرآن الكريم من أنه صورة من الكتب السابقة عليه ، و أنه منقول منها ، و المعروف أن الكتب السماوية المنزلة قد جاءت من مصدر واحد فى أصلها قبل التحريف ، ولذلك فان الأصول العامة

لدين الله لا بد أن تكون متشابهة و لكن النظرة المتعمقة لا بد أن تكشف عن مواقف مختلفة تميز القرآن بالاشارة إليها والتعبير عنها، لم تكن موجودة فی الكتب السابقة بوصف أنه أنزل للناس كافة و للبشرية إلى أن يرث الله الأرض و من عليها و أن الكتب السابقة كان كل كتاب منها إلى قوم و أمة .

و من ذاك شبهة ترتيب القرآن حسب نزوله ، و قد جهلوا أن ذلك لو كان أمراً مطلوبا لما فات النبي - ﷺ - فی ذاك آی القرآن و إن كانت قد نزلت منجمة آيات آيات و سوراً سوراً بحسب الوقائع والحوادث و علی مقتضی الحكمة التی أرادها الله - تبارك و تعالی - و هو الشارع لدينه ، و قد نزلت بمكة و المدينة ، و استمر نزولها ثلاثا و عشرين سنة ، إلا أن النبي - ﷺ - كان يأمر كتاب الوحی من أصحابه حين تنزل الآية و يقرأها عليهم أن يضعوها فی مكانها بعد آية كذا من سور كذا ولذلك فقد خابت مفترياتهم من هذه الوجهة .

وقد ردد المستشرقون عدداً من الشبهات حول الزيادة و النقص و التحريف ، و كلها ادعاءات باطلة لم يقدموا أی دليل علی صحتها ، كذاك دعواهم بأن القرآن الكريم من نظم النبي ﷺ و ليس منزلا من عند الله ، و أنه كتاب حكم و مواعظ ، و كل ذاك ثبت بطلانه فقد تضمن القرآن الكريم بشهادة غير المسلمين علی أكثر من أربعمائة قضية سياسية و اجتماعية و قانونية ، و منهج كامل لنظام المجتمع و سنن الحضارات و الأمم ، و لو أن القرآن كان ذلك علی هذا النحو لما هز عوالم الاستعمار وأثار الفزع فی القلوب حتی وقف « جلاد ستون » رئيس وزراء بريطانيا فی مجلس العموم و هو يحمل المصحف و يقول : « ما دام هذا الكتاب باقيا فی الأرض فلا أمل لنا فی إخضاع المسلمين بل نحن علی خطر فی بلادنا» و ليس صحيحاً نسبة القرآن إلى النبي فقد شهد الباحثون أخيراً بأن

معلومات القرآن عن خلق الأرض و الانسان لم يكن هناك بشر يعلمها فى وقت نزول القرآن وأنها لم تعرف إلا فى العقود الأخيرة ،و لذلك فان هذه المعلومات لا بد أن تكون من مصدر أكبر وأعلى ،كذلك فان الباحثين المنصفين يستطيعون أن يعلموا مدى الفوارق العميقة بين القرآن و السنة (بين كلام الله تبارك و تعالى و بين كلام النبي) .

سابعاً : حول شخصية النبي - ﷺ -:

أولا : ما ذهب إليه كتاب الغرب من أن التقاءه بالراهب بحيرا و ورقة ابن نوفل و قس بن ساعدة كان له أثر فى تلقى التعاليم الدينية، وهذه المسألة باطلة تماماً فان النبي لم يكن ليلتمس من علم هؤلاء شيئاً ليكون عونا له على رسالته فقد جاءت رسالته متميزة تماما عن كل ما سبقها من الأديان .

فضلا عن أن النبي الأمى لم يكن يقرأ شيئاً من كتب اليهود أو النصارى.

كذلك فان مسألة الرحلات مسألة باطلة تماما و لم ترد فى الصحاح ، و سفره إلى الشام كان فى سن باكرة لا يمكن أن يتصور أنها تتيح له أن يعلم شيئاً عن الأديان السابقة ، و الحقيقة أن النبي - ﷺ - لم يخرج من الحجاز إلا مرتين ، إحداهما فى الثانية عشرة و الأخرى فى سن الخامسة و العشرين .

ثانياً : تعدد زوجات النبي :

كان تعدد زوجات النبي - ﷺ - ضرورة اقتضتها طبيعة الرسالة التى كلف بها و اختلاف القبائل و الأوطان و المواقف التى دعت النبي إلى التعدد و قد جاء ذلك كله فى مرحلة لا يمكن أن توصف بما يدعون ، فقد عاش - ﷺ - المرحلة الكبرى من حياته فى كنف السيدة خديجة - رضى الله عنها - .

ثامناً : شبهة استعداد العرب للملك قبل النبي :

و هذه شبهة باطلة يؤكدها موقف العرب من رسالة النبي : تقول الشبهة : (إن العرب أمة وصلت إلى الصلاحية للملك فلما جاء النبي نهض بهم فنهضوا و وجههم إلى الفتح و السيطرة فوصلوا بعد زمن قليل إلى ما كان النبي يريد).

و الواقع أن العرب لم تقبل دعوة النبي إلا رجالا و نساء لا يزيد عددهم على بضع عشرات ، وأن أتباع النبي الأولين اضطهدوا اضطهاداً شديداً حتى هاجروا إلى بلاد الحبشة وأن النبي لبث على هذه الحالة من الاضطهاد ثلاث عشرة سنة .

فلما أنست قريش من النبي الهجرة اعترضت طريقه واعتزمت قتله وأرصدت له ، ولما علم أهل مكة بافلاته اقتفوا أثره ، كل هذا ينطق بلسان فصيح ـ كما يقول فريد وجدى ـ أن قريشاً وهى مظنة النجابة و الفهم من العرب فى ذلك العهد لم تكن قد استعدت للملك فان المجتمع الذى يقاتل الداعى للتجديد والنهوض بهذا العناد و يصر عليه ثلاث عشرة سنة لا يزداد بعدها إلا عناداً و تشدداً ، هذا المجتمع الذى يقاتل الداعى بهذا النفور العظيم لا يعتبر أنه استعد لاقامة دولة .

تاسعاً : شبهة :

أن الاسلام مشابه فى أصوله لليهودية والمسيحية، يقول الدكتور محمد محمد حسين « إن ما أقره الاسلام مما بقى صحيحاً من ملة أبينا ابراهيم ـ عليه الصلام ـ هو فى نظرهم دليل على أن الاسلام امتداد طبيعى للحياة الجاهلية ، و ما جاء به الاسلام من تصورات دينية هو امتداد لما يحويه الشعر الجاهلى من تأثر باليهودية والنصرانية» و حقيقة الأمر فى ذلك كله أن فضائل العرب فى جاهليتهم هى البقية الصالحة من ملة ابراهيم ـ عليه السلام ـ وما يشترك فيه الاسلام مع اليهودية والنصرانية بل مع أساطير الأولين فى الجاهليات الاولى الغابرة ، هذه البقية الصالحة الصحيحة من هذه الأساطير الأول من الوحى الالهى لأن هذه الأساطير فى حقيقة أمرها كانت من بقية الدين .

ثالثا : التحول الجديد : مرحلة تفسح الطريق لرؤية معتدلة و يأتى الحديث بعد ذلك عن المرحلة الثالثة و هى المرحلة المعاصرة التى تنكشف فيها الظلال الكثيفة فى الغرب عن تيار جديد ، مغاير لتيار التبشير و الاستشراق و أتباعه من التغريبيين ، يقود هذا التيار جماعة من مصلحى الغرب اكتشفوا أخيراً أن الحضارة الغربية تنهار و أن الأيدلوجيين الليراليين و الاشتراكيين قد عجزوا عن العطاء و أن هناك أملا فى النظر إلى الاسلام و رسوله الكريم .

و الحقيقة أنه على طول تاريخ الاسلام كانت الأمم فى الشرق و الغرب تتطلع فى شوق لأن تستجلى طلعة هذا النبي الكريم وتتعرف إلى شمائله و خلقه ، و بعد أن سمعت بسماحة دعوته و حسن معاملته لمعارضيه ، مما دفع هذه الدعوة فى تلك الانطلاقة العجيبة إلى آفاق الأرض فبلغت فى الوقت القصير من حدود الصين إلى نهر اللوار ، غير أن قوى كثيرة كانت و ما زالت تحول بين الأمم وبين أن تتعرف على نبي الانسانية الأعظم ، فقد كان كثير من أتباع الأديان فى كل مكان يحاصرون هذا المنطلق و يفسدونه و يزيفون ما يصل إلى الشعوب منه لتظل الأمم أسيرة المفاهيم الضالة والعقائد الباطلة ، ولم يتفرج الطريق إلى التعرف على شمائل هذا النبي و عظمته و عظمة دعوته إلا منذ عهد قريب جداً .

صحيح أن كثيرين كتبوا عنه فى الغرب و أشادوا به أمثال جوستاف لوبون و كارليل و تولستوى و برناردشو ، ولكن ظلت هذه الكتابات محصورة فى نطاق ضيق و ظلت قوى كثيرة تحجبها ، و جاء دعاة التغريب فى بلادنا ليسخروا منها ومن قائليها خوفا من أن تصل إلى قلوب مشوقة متطلعة إلى نور الحق ، كذلك فان ما كتبه ، لامرتين وجوته ، جرى ، تعتيم شديد عليه ووصف كتابه بالسذاجة .

إننا إذا نظرنا اليوم إلى أفق الغرب نجد علامات كثيرة تكشف عن بروز هذا التيار المنصف الصحيح ، يتمثل فى :

أولا : فى صيحة الاريوسبين .

ثانياً : ما كشف عنه الأبحاث عن الكتب القديمة .

ثالثاً : كتابات المنصفين .

على كل حال فقد انتهى إلى غير رجعة ذلك الطابع العنيف الذى كان واضحاً فى كتابات دينان و مرجليوت الذى يعد كتابه عن النبي - ﷺ - من أكثر الكتب فى تاريخ العالم كذباً و افتراءاً ، وما كتبه مؤلف الكوميديل الالهية الذى اجترأ على النبي محمد حينما أعلن إعجابه بابن سينا و الفارابى و ابن رشد وما كتبه فولتير فى روايته المعروفة عن النبي محمد و التى وضعها تحت أقدام البابا .

فقد استطاعت كتابات المسلمين المتصفة بالحكمة و الأصالة و البعيدة عن التبعية أن تصل إلى قلوب الغربيين و تقنعهم بصدق الرسالة المحمدية كما كشفنا النظرة البعيدة عن الهوى عن تقدير واضح لهذا الأثر الضخم الذى تركته الرسالة المحمدية فى انتشارها السريع خلال ثمانين عاما حتى وصلت ما بين حدود الصين ونهر اللوار من ناحية ، وما تزال تصل إليه يوما بعد يوم من فتوح فى قارات الدنيا الخمس و هو فتح سلمى لم يتوقف منذ توقفت التوسعات الأولى كما تحطمت النظريات الباطلة عن انتشار الاسلام بالسيف وتعدد الزوجات بعد أن قبل الغرب هذا التعدد ، واستمرار الاسلام بعد تنبئات المتعصبين بأنه سينتهى ، فاذا هو يزداد توسعاً فى أقطار الأرض وفشل ظن الذين كانوا يعلنون أنهم سيقضون على الاسلام و يجتثون جذوره من على الأرض ، وكان أشد ما واجه الغرب تلك الصيحات التى تنادى بالمطالبة بمنهج جديد بعد فشل المنهجين الليبرالى و الماركسى و الاعتقاد بأن الاسلام هو القادر على حل أزمات العالم الثلاث : العلاقة بين الحاكم والمحكوم ، قضية الغنى و الفقر ، علاقة الرجل و المرأة ، و كيف أن الاسلام يستطيع أن يقدم للبشرية : البعد الربانى للحضارة ، والبعد الأخلاقى للمجتمع ، فضلا عن السماحة و الاخاء و الرحمة التى يحملها الاسلام للانسانيـــة بديلا عن التعصب و الحقد و الاستعلاء بالعنصر و سلاح الحرب المسلط على الرؤوس .

« يتبع »